• مات الإمبراطور «البائس» وترك وراءه لغزًا كبيرًا!!

في حوالي الساعة السادسة مساء يوم 5 مايو سنة 1821م مات نابليون بونابرت في منزله بالمنفى في جزيرة «سانت هيلينا» أمام الساحل الغربي لإفريقيا وكان عمره 51 عامًا.. بعد أن قضى بالجزيرة ست سنوات منذ هزيمته في معركة «ووترلو».. تحوّل خلالها الإمبراطور الكبير الذي أثار الرعب في أوروبا بأكملها - إلى إنسان وحيد بائس يعيش بين آلام المرض وذكرى الانتصارات والأمجاد.. وكانت حالته الصحية في تدهور.. فكان يعاني من أعراض مرضية مختلفة لكنها عمومًا لم تكن أعراضًا خطيرة.

فكان دائم الشكوى من برودة قدمه بالإضافة إلى إصابته بالبواسير. ولا شك أن سوء حالته النفسية في المنفى قد أثر كذلك على حالته الجسمانية.. حيث عاش وحيدًا بلا أصدقاء تقريبًا وحُرم من رؤية ابنه وزوجته.

وعاش نابليون مع متاعبه الصحية طوال الفترة بين 1818م حتى 1819م دون أن يفحصه أي طبيب.

obeikandl.com

• **سرطان المعدة يهدّد نابليون:**

وعندما ساءت حالته الصحية عما كانت عليه وجدَّت عليه أوجاع جديدة بالبطن، طلب حاكم الجزيرة «سير هدسون لوي» أن يحضر لفحص نابليون الطبيب الإنجليزي دكتور انتو مارشي.. ليس من أجل نابليون في الحقيقة وإنما ليتبين سير هدسون ما إذا كان مناخ الجزيرة يصيب الكبد بمتاعب.. حيث كان هناك احتمال ذلك..

وكان مجيء الطبيب الإنجليزي على غير رغبة نابليون إذ كان يخشى أن يضع له سُمًا للخلاص منه لكُره الإنجليز له.

وحتى أكتوبر سنة 1820م، وبناء على ما ذكره «سيروليام دوفيتون»، وهو من سكان الجزيرة، كانت حالة نابليون لا تزال مطمئنة.. فيذكر سير وليام أن نابليون كان يزداد في الوزن بدرجة ملحوظة رغم شكواه من متاعب بطنه.. وقال عنه: «إنه كان يبدو سمينًا ممتلئًا كالخنزير الصيني»!

ولكن في يناير 1821م قال نابليون للمحيطين به «يبدو أنه لم يتبقَّ الكثير».. فكان يشعر أن أجله قد اقترب.. وكما أعلن «الكونت دي مونتولون» الذي رافق نابليون في منفاه: أنه مصاب بمرض Maladie de langueur.. الذي كان يقصد به مرض السرطان.. وطلب مونتولون إبلاغ الحكومة الفرنسية بإصابة نابليون بهذا المرض باعتباره سبب الوفاة.. وذلك بناء على نتيجة فحص دكتور انتومارشي.

• ظهور أعراض جديدة وغريبة:

ومنذ ذلك الوقت جدّت على نابليون أعراض أخرى كانت تشمل: الشعور بالعطش - الغثيان - ضعف النبض - كحة جافة- الإحساس بحرارة داخلية - رجفة الجسم.

وبدأ يرفض تناول أي دواء واكتفى بتناول عصير البرتقال وشراب الشعير.. وبعد فترة امتنع عنهما كذلك واكتفى بتناول النبيذ.. وذهب فكره في ذلك الوقت إلى حادث وفاة والده.. حيث مات مصابًا بسرطان المعدة. واعتقد نابليون أن نهايته ستكون بالمثل لاحتمال وجود عامل وراثي جعله يصاب بسرطان المعدة.

• تشريح جثة نابليون!

وفي 28 إبريل من نفس السنة أوصى نابليون بأن تُشَّرح جثته بعد الموت - بشرط ألّا يقترب منها أي طبيب إنجليزي - وأن يؤخذ «قلبه» ويحفظ في النبيذ ويرسل إلى زوجته.. أما معدته فتفحص بعناية لمعرفة سبب المرض، ثم تُرسل إلى ابنه!!.. لكنه لم يحدث شيء من ذلك.

وخلال اليومين السابقين لوفاته عاش نابليون على تناول الكالومل أو (الزئبق الحلو) بغرض تخليص الجسم من سموم المرض.. لكنه بعد عدة أيام تالية مات نابليون.

وحضر لتشريح جثة نابليون سبعة أطباء من بينهم ستة من الإنجليز على غير رغبة المتوفى.. وأقر الأطباء بعدم وجود علامات مرضية خطيرة باستثناء قرحة بسيطة بالمعدة.. والتي وصفها الدكتور انتو مارشي بأنها من النوع السرطاني.

ودُفن نابليون بالجزيرة في منطقة «سلينز فالي Slanes Valley» على بعد 2 ميل من منطقة «لونجوود» التي أقام بها نابليون.. وكان قبره عاديًا للغاية.. ورفض سير هدسون حاكم الجزيرة وضع أي لافتة على قبره!!

وبعد مرور 19 سنة نقل جثمانه داخل أربعة أكفان إلى باريس.. وعندما أزيح عنه الكفن وجدوا جثته محفوظة بعناية وكانت لا تزال تدل عليه ولم يصدر منها أي روائح عفنة!!

- **إعادة البحث في أوراق الماضي:**

ومع الوقت نسى الجميع حادث وفاة نابليون بونابرت باستثناء أشد المعجبين به، وكان أبرزهم طبيب أسنان سويدي اسمه «ستين فورشو فود» كان له خبرة طبية واسعة.. وقد عكف «ستين» لفترة طويلة على قراءة كل ما يتعلق بحياة نابليون بونابرت.. وفي سنة 1955م استرعى انتباهه شيء غريب في حادث وفاته جعله يُفضي بأمر خطير وهو أن نابليون لم يمت بالسرطان وإنما مات مقتولاً!!

فقط لاحظ «ستين» أن كل البيانات تشير إلى أن نابليون كان يزداد في الوزن بدرجة ملحوظة أثناء فترة معاناته من متاعب المعدة بسبب احتمال إصابته بالسرطان.. وهو ما لا يتماشى إطلاقًا مع سرطان المعدة فالمفروض أن يحدث العكس.. ولاحظ كذلك أن الأعراض المرضية التي طرأت على نابليون في الأيام السابقة لوفاته كانت تشير إلى علامات الإصابة بتسمم الزرنيخ مثل شكواه من سخونة داخلية وعطش دائم بالإضافة إلى ضعف النبض، كما رأى

«ستين» أن تناول نابليون «للكالومل» قبل وفاته بالإضافة لدواء «طرطر اميتك» جعل جسمه يتخلص من بقايا الزرنيخ فلم يظهر للمادة السامة أثر بجثته بعد تشريحها.

وفي ذلك الوقت أعلن طبيب اسمه «هاميلتون سميث» بجماعة جلاسجو - عن توصله لاختبار جديد لتشخيص حالات التسمم بالزرنيخ.. يعتمد على فحص عينة من شعر الرأس (على أساس وجود المادة السامة بجذور الشعر). فاستطاع الطبيب «ستين» أن يحصل على عينة من شعر رأس نابليون أخذت قبل وفاته مباشرة وأرسلها للطبيب صاحب الاختبار.. وكانت مفاجأة مذهلة حين جاءت نتيجة الاختبار إيجابية.. أي أن سبب الوفاة هو التسمم بالزرنيخ!!

- **مَنْ الذي قتل نابليون؟!**

ولكن.. كيف وصل السم إلى نابليون؟.. كان ذلك هو الأمر الثاني الذي بحثه «ستين» رأى ستين من خلال بحثه في سيرة نابليون قبل وفاته.. أن الطبيب «انتو مارشي» قد وصل إلى الجزيرة في سنة 1819م، أي بعد ظهور أعراض التسمم على نابليون، لذلك استبعد أن يكون أحد من الإنجليز بصفة عامة قد أقدم على ذلك لكي لا ينتهي الأمر بفضيحة دولية.

إن الشخص الوحيد الذي من المحتمل أن يكون قد قام بقتل نابليون هو رفيقه في المنفى «مونتولون».. حيث إن وجوده لم يكن له ضرورة من ناحية.. وكان من الممكن أن يعيش حياة أفضل في فرنسا بدلاً من وجوده في الجزيرة.. ومن ناحية أخرى أنه كان المسئول عن إحضار النبيذ الذي كان يحتسيه

نابليون، فمن المحتمل جدًا أن حضوره إلى الجزيرة بعد وصول نابليون إليها كان بغرض قتله. ومن المحتمل أيضًا أن ذلك كان عن طريق وضع السم لنابليون في زجاجات النبيذ!

كما ظهر لستين من خلال دراسته للموضوع أن مونتولون كان يحث الأطباء على إعطاء نابليون «الكالومل» قبل وفاته بفترة بسيطة وبعد أن ساءت حالته الصحية إلى أقصى حد.. فرأى أنه ربما كان يقصد بذلك أن يساعد «الكالومل» على تخلص الجسم من آثار الزرنيخ حتى لا يظهر بجثة نابليون ما يشير إلى حدوث الوفاة بسبب التسمم.

كما رأى «ستين» من خلال سيرة نابليون أن «الكونت دي ارتوا» وهو من أحفاد الملك لويس الثامن عشر كان من أشد الكارهين لنابليون بونابرت بعد أن قُتل أجداده على يد الثورة الفرنسية في حين تمكن نابليون من الوصول إلى السلطة التي كان يطمع هو شخصيًا في الوصول إليها.. مما جعله حاقدًا على نابليون بونابرت وكل ما يتعلق بالثورة الفرنسية. علاوة على ذلك أنه دبّر مؤامرة لقتل نابليون بعد أن نفته الثورة إلى اسكوتلاندا.. لكن المحاولة باءت بالفشل.

من هنا اتضحت الأمور تمامًا في ذهن «ستين» حيث أدرك أن «الكونت دي ارتوا» هو الذي كلّف مونتولون بالسهر على نابليون في المنفى لا ليبقى برفقته وإنما لقتله.

بناء على ذلك توصّل الطبيب «ستين فورشو فود» إلى أن نابليون لم يمت ميتة طبيعية وإنما مات مقتولاً بتدبير من «الكونت دي ارتوا».

لكنه رغم هذا الاستنتاج المذهل الذي توصّل إليه «ستين» لا نستطيع أن ننكر احتمال موت نابليون ميتة طبيعية بسبب إصابته بسرطان المعدة.. وذلك لعدة أسباب:

أولًا: إن نابليون كان مريضًا أصلًا عند وصوله إلى الجزيرة، وقد ظّل يعاني لفترات طويلة حتى قبل نفيه إلى الجزيرة من نوبات من القيء والمغص كانت تشير إلى إصابته بمرض مبهم بالمعدة.

ذلك بالإضافة إلى أن نابليون كان معرضًا أصلًا لسرطان المعدة بحكم العامل الوراثي حيث مات أبوه بنفس المرض.

ثانيًا: إن الفحوص التي أجريت لنابليون سواء قبل وفاته أو بعد تشريح جثته لا يجب أن يؤخذ بها حيث كان الطب في ذلك الوقت مختلفًا بدرجة كبيرة عن الطب الحديث.. فلم يكن بإمكان الأطباء في أحيان كثيرة تشخيص مرض السرطان.

• نابليون والحوائط المسممة بالزرنيخ!

لم ينته حادث وفاة نابليون عند ذلك الحد. ففي سنة 1982م جاءت مفاجأة جديدة أثارت بعض الشكوك حيث صرّح دكتور «ديفيد جونز» بعد دراسات مكثفة تصريحًا غريبًا أذاعته إذاعة الـBBC في أحد برامجها.. وكان يقول: «إن ورق الحائط في غرفة نابليون بالمنفى كان يحتوى على مادة الزرنيخ».. وهو شيء ليس غريبًا إذ كانت تستخدم مادة النحاس الزرنيخي (Copper arsenic) في الماضي كمادة ملوِّنة لبعض الوسائل ومنها ورق الحائط.

ولكن.. هل من الممكن أن يكون وجود هذه المادة على الحوائط أدى لتسمم نابليون؟!.. لا شك أنه أمر مستبعد وإلّا لكان أصيب بالتسمم كل مَنْ جاءوا إليه في حجرته.. إلّا إذا افترضنا أن نابليون كان شديد «الالتصاق» بالحوائط بطرق مختلفة سواء بكثرة الاستناد على الحائط أو كثرة ملامسته بأصابع اليد أو غير ذلك من التصورات البعيدة.

ولا يبقى في النهاية إلّا أن نقول: «إن وفاة نابليون بونابرت ستظل أمرًا غامضًا بعد ما أثاره الطبيب السويدي «ستين فوشو فود» في سنة 1955م. وما ذكره مؤخرًا الدكتور «ديفيد جونز» في سنة 1982م».

فهل مات نابليون بسرطان المعدة أم مسممًا بالزرنيخ؟!

لا أحد يدري..

• أين دفنت جثة نابليون؟

وضع نابليون فى تابوت خشبي فاخر..ودفن بالقرب من مجرى ماتي بالجزيرة اعتاد على الشرب منه أثناء فترة إقامته..وكان يحيط به أزهار الجيرانيوم ذات الرائحة الذكية لذلك اكتسب هذا المكان اسم "وادي زهرة الجيرانيوم".